أو لمصر . بدا قاسم ، وكأنه بهلوان متوازن على خيط ممدود بين موسكو والقاهرة . اعلن ان حكومته تنوي تأييد سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، لكنها ستحترم التزاماتها الدولية ، كما انه كان يخطط لزيادة صادراته النفطية الى الغرب بنسبة ٥٠ ٪ . وعندما علم ان عملاء مصريين بدأوا يتغلغلون في العراق ، اعلم ناصر كما قال لي بهدوء قاس ، ان انابيب النفط العراقية يجب ان تعمل كالمعتاد . لم اشك لحظة ، في ان قاسم سيتخذ موقفا صلبا ، دفاعا عن استقلال العراق . لكن بعد اقل من خمس سنوات ، اغتيل على يد مجموعة من رفاق السلاح الذين يتزعمهم الكولونيل عبد السلام عارف ، المغالي في اعجابه بناصر .

خلال الساعات الخمس ، التي قابلته فيها ، شرح لي ناصر اوضاع الجمهورية العربية المتحدة ، وشرح لي ضرورة الوحدة العربية ، من اجل امن بلد صغير وضعيف مثل مصر ، لكنه لم يشر الى تصوراته حول العراق . افاض في الحديث عن اسرائيل التي زرتها كذلك قبل زيارتي لمصر . ليس هناك مشكلة دبلوماسية اكثر صعوبة من الخلاف العربي ــ الاسرائيلي التي يمكن للوقت وحده ان يأتيها بحل وحتى الان لا يوجد احد ، له مرونة كافية تمكن من ايجاد شكل وساطة . غير ان وزارة الخارجية الامريكية ، كان لها الفضل على الاقل ، في محاولة ذلك بصبر منذ سنوات . كانت علاقتنا مع ناصر مغلوطة بشكل اكيد ، بسبب ايمانه الذي عبر عنه مرارا ، بان الولايات المتحدة ستقف دائما الى جانب اسرائيل مهما حصل . الموقف الامريكي خلال ازمة السويس جعله يشك بذلك قليلا دون ان يقتنع بعكسه . عندما اثرت هذه النقطة ، هز ناصر كتفيه ليفهمني استحالة اي حل . لكنه امتنع عن الادلاء باي تصريح استفزازي ضد جيرانه اليهود . لا بد وان تقدم الاسرائيليين بسرعة البرق في سيناء ، اعطت لناصر وضباطه نظرة اكثر موضوعية للامور .

كنت قد وصلت القدس على الاوتوستراد الممتاز الذي شيد بفضل المساعدة الامريكية . في المدينة المقدسة ، تبين لي ، كم هي الاماكن المقدسة للاديان الكبيرة : المسيحية ، اليهودية والاسلامية ، قريبة من بعضها ، لاحظت الاسلاك الشائكة التي تفصل اسرائيل عن الاردن . في الناحية الاردنية استقبلني الحاكم بلطف كذلك استقبلني اصدقائي في وزارة الخارجية الاسرائيلية على بوابة مندلبوم . اغتنمت الفرصة لزيارة الجامع العمري الكبير وحائط المبكى ، كما قضيت وقتا ممتعا مع مجموعة من الرهبان الارثوذكس . بعدها استقليت السيارة الى تل أبيب لاجراء محادثات مع رئيس الوزراء دافيد بن غوريون . كان متحمسا لمشروع تعاون يسعى له بين اسرائيل وكل من تركيا وايران والحبشة والسودان . وصرح بان اسرائيل ستضطر الى احتلال الضفة الغربية لنهر الاردن دون الاهتمام بالاشكالات الدولية ، فيما اذا استولى ناصر على المملكة الهاشمية ، عبر التخريب أو اية طريقة اخرى . كان بن غوريون ، يأمل في تفهم ناصر لنوايا اسرائيل وامكانياتها الاجرائية . فكرت بحزن ، في وضع الملك الشاب ، وبفشل الجهود الامريكية في سبيل ايجاد حل عربي اسرائيلي .

اتاحت لي هذه السهرة الطويلة التي امضيتها مع ناصر ، الفرصة لتفسير السياسة الامريكية ورغبة الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالس في مشاركة الدول الحرة من اجل ايجاد حل لمشاكل الشرق الاوسط الاساسية . غير ان ناصر ادعى ان الولايات المتحدة لعبت مع مصر لعبة القط والفار . قال ان دالس كان فظا فيما يخص بمشروع اسوان ، وان الاتحاد السوفياتي ابدى تفهما اكبر ، وانه يحفظ جميله . عندها ، ذكرته بالمساعدة الكبيرة التي قدمتها الولايات المتحدة لمصر ، وبموقفنا من قضية السويس . ابديت أملا ، في تحسن العلاقات بين مصر وحليفنا الانكليزي ، هنا قاطعني ناصر ، مشفقا على مصير بلده خلال ثلاثة قرون من النير التركي و٧٥ عاما من السيطرة الانكليزية .

ادهشتني حساسية ناصر من انتقادات الصحافة الامريكية . كان يوجد في صالونه مجموعة من الصحف والمجلات الامريكية . اراني بعض المقالات بغضب ، يبدو انه كان يستلذ العثور على اقوال يعتبرها مغلوطة في حقه . شرحت له